

## اشتغل مدرسا ولاعب كرة قدم وتاجرا.. وانتهى روائيا

محمد الأصفر: هناك جيل أدبي جديد ممتاز في ليبيا



متلما يستند العمل الأدبي إلى جُملة من الركائز لا يستطيع الكاتب أن يتجاوزها أو يتجاهلها، يظل جموح كل كاتب وشطحاته هو ما يمنح العمل صوته الخاص، وهو ما يضع الكاتب في إشكالية الاختيار بين دربه الخاص بكل هناته وتلك الدروب التي يرشده إليها الآخرون بمثالياتها الظاهرة. "العرب" حاورت الكاتب الليبي محمد الأصفر حول دربه الخاص في الكتابة وإشكالياته.

حنان عقيل  
كاتبة مصرية

يرتكز الكاتب الليبي محمد الأصفر في أعماله الروائية على تداعي الذكريات والتخيلات عن الوطن، وتلك الركيزة تجعله يضع ما يتعلق بالسرد والحبكة الروائية في المرتبة الثانية. وفي هذا الصدد يوضح أن كل كتاباته عن ليبيا: تاريخها وتراثها ومدنها وقراها وعاداتها الاجتماعية وأحداثها السياسية وثوراتها، فكل شيء عن ليبيا يحب أن يتناولها خاصة في ما يخص مدينته بنغازي ودرسة لمعرفته العميقة بهما.

ليبيا تحتاج إلى معرض  
كتاب منتظم ودور  
نشر محترفة فضلاً عن  
المهرجانات والمنابر  
الإعلامية الثقافية

يبدأ الأصفر الكتابة في فترة متأخرة نسبياً من حياته، وعن ذلك يقول "حياتي حلقة من التجارب في كل فترة منها أهتم بشيء ما، ثم لا أجد فيه نفسي فاتركه، بدأت مدرسا وتركت التدريس بعد عشر سنوات، لعبت كرة القدم ثم تركتها، عملت تاجر شنطة مع مدن جنوب شرق آسيا والمغرب ومصر ثم تركت ذلك، ذات عشية في بكين رأيت شيوخا كبارا يرقصون في حديقة ويلقون في الشجر أقفاصا بها عصافير تحاول أن ترقص هي الأخرى وتلفت النظر بزرقاتها وكأنها تقول للشيوخ نحن في سجن صغير وانتم في سجن كبير، وقرصكم لن ينجمكم من السجن القادم، كتبت المشهد في ورقة وقرأته على أصدقائي تجار الشنطة في الفندق وأعجبوا به واحفوا بالنص".

يتابع "عندما عدت إلى بنغازي كان الوقت ليلا، لم يكن هناك عشاء في المطبخ، وجدت جمرًا ما زال يتدفق الموقد فمرمت عليه كوز نرة يابسة وتاملت مشهد نضوج حبيبات النرة واحترق بعضها، وظللت تلك الليلة في المطبخ أتأمل مشهد النرة والنار تاركا خيالي يرحل فيهما كما يحب، ثم بدأت في كتابة نص بعنوان "من مذكريات

المريوة، أنت في مريوتك حر، فرفشها، لا تفرشها، تضع لها مقاعد وثيرة أو حصيرا جميلا، تستقبل فيها ضيوفا أو.. والقارئ أستضيفه داخل المريوة، أقدم له ما أمك من سادة، هناك قارئ تعجبه الضيافة وطعامها وشرابها وموسيقاها وآخر يعجبه بعضها وآخر لا تعجبه إطلاقا، واحترم رأي كل الضيوف الذين قبلوا دعوة قراتي بالطبع، وثناء الكتابة دائما أضع القارئ

الرواية مربوعة

يؤمن محمد الأصفر أن "الرواية مثل المربوعة، أنت في مريوتك حر، فرفشها، لا تفرشها، تضع لها مقاعد وثيرة أو حصيرا جميلا، تستقبل فيها ضيوفا أو.. والقارئ أستضيفه داخل المريوة، أقدم له ما أمك من سادة، هناك قارئ تعجبه الضيافة وطعامها وشرابها وموسيقاها وآخر يعجبه بعضها وآخر لا تعجبه إطلاقا، واحترم رأي كل الضيوف الذين قبلوا دعوة قراتي بالطبع، وثناء الكتابة دائما أضع القارئ

كل كاتب يكتب ذاته في النهاية

الناجحين هم من غزيري الإنتاج، نجيب محفوظ، موراكامي، كونديرا، بول إيستر، أمبرتو إيكو، ماركيز، يوسا وغيرهم. ففي اعتقاده مادام المبدع قادرا على الإبداع فليدع، مسألة الجودة تتعلق بالموهبة، إن كنت موهوبا مع قليل من الممارسة ستكتب جيدا، وإن كانت موهبتك ضحلة سيكون نصك رديئا.

ويختتم محمد الأصفر بالحديث عن الرواية الليبية قائلًا "توجد أقلام ممتازة، دعونا لا نتحدث عن الأسماء المكرسة المعروفة عالميا، ولنركز على الجيل الجديد الذي ينشط الآن رغم ما تعيشه البلاد من ظروف صعبة، خاصة الكتاب الشباب الذين احتواهم كتاب "شمس على نوافذ مغلقة" للشاعر خالد مطاوع والصحافية ليلى نعيم المغربي، وهناك كتاب شباب آخرون جديون من عدة مدن ليبية لم يكونوا من ضمن متن معه تغيرت كتابتي من حيث الانضباط والنظام والاشغال الطويل على النص". البعض يناقش مسألة غزارة الإنتاج الأدبي بنوع من الاستهجان باعتبار أن الكم الكبير يتعارض مع الجودة والإتقان. ويرى الأصفر أن أكثر الكتاب

صعب، أحب أن أترك العمل كما هو بهناته وحسناته، ربما يكون أذاك أشعر تعبيرا عني، عندما أتبع رأي ناقد حاولت أن أتبع خطوات ناقد في الكتابة فوجدت نفسي قد قضيت شهرين ولم أكتب سوى ورقتين، مرقت الورقتين وقلت هذا الأمر لا يناسبني، أنا بدأت الكتابة مؤخرًا وعمري 39 سنة، ولا أحب أن ينهب زمني أي ناقد مهما كان مخضرمًا، حتى الكتب التي تمنح نصائح للكتاب لا أتبع نصائحها، لست مقتنعا بمبدع يمنح نصائح لآخرين ليركب دربهم الخاص الذي اجتروه، وعموما استمرت أكتب دون طلب مجد أو جوائز أو قبول نصوص من دور نشر معروفة، لكن في الأونة الأخيرة بدأت أكتب بطريقة مختلفة، يبدو أن الناقد الذي يمضي معي هو المكان، عندما تغير المكان وتأقلمت معه تغيرت كتابتي من حيث الانضباط والنظام والاشغال الطويل على النص". البعض يناقش مسألة غزارة الإنتاج الأدبي بنوع من الاستهجان باعتبار أن الكم الكبير يتعارض مع الجودة والإتقان. ويرى الأصفر أن أكثر الكتاب

الأخريين سواء بشرا أو الهة، ولا أحد يعرفه غيره، فأجمل الكتابات برأيه هي التي تكتبها الذات مباشرة ودون أقتعة وبكل عراء ممكن، وهذا أمر صعب على كل كاتب، بمن فيهم الكبار والمخضرمين الذين يسعون دائما للبطولة والتفوق.

نصائح نقدية

يقول الكاتب الليبي "أكتب وازمي ورائي، حقيقة أنا أنسى ما كتبت، ولا أقرأ ما كتبت من جديد، لأنني سأرى أشياء تؤلمني، فحينما أقرأ نفسي أقول ما هذه الفاتحة التي كتبتها، هل أنا فعلا من كتب هذا الهراء أنا لا أصدق، يبدو أنني تغيرت كثيرا الآن، والحالة التي كتبت فيها ذلك النص خرجت منها إلى حالة جديدة تكفر بكل إقلياتها، وعموما أنا دائما لا أحاول إصلاح القديم، وأفضل اقتناء جديد بدلا منه".

وعن تأثير النقد على توجهه في الكتابة يقول "لا يؤثر في النقد، لذلك لا أحب الاستفادة من أخطائي وأحب أن اظلم كما أنا، النقاد يقولون أشياء صحيحة، لكن اتباعها بالنسبة إلي

شجرة" كان ذلك في منتصف يوليو 1999، تتبعت في النص رحلة الشجرة منذ أن كانت بذرة حتى تحولت إلى فحم، وفي الصباح أخذته لجريدة الجماهيرية الليبية فنشروه على الصفحة الأخيرة كلها، وبعدها قالت لي فتاة صحافية إنك كاتب جيد، لماذا لا تكتب بانتظام؟ فقلت لها سافعل، تركت التجارة فورًا وانخرطت في هذا العالم إلى الآن، خاصة بعد أن شجعتني كثير من الكتاب الكبار المعروفين في ليبيا وخارجها".

في ما يتعلق بإمكانية تجاوز الكاتب لذاتيته يعتقد في عمله الروائي، يعتقد الكاتب بان كل الكتابات سيرة ذاتية للكاتب، فالكتابة تعبير عن شعور، والشعور منبعه الذات بالطبع، وحتى وإن استخدم شخصيات وأمكنة لا تمت إليه بصلة، ففي الدماغ لا شيء سوى الذات، منه ننطلق ومنه نعود، وما يحركه للكاتب هو إرضاء ذاته وإشباعها بشيء غير متوفر لدى



## الواقعية النقدية، أنطولوجيا جديدة في علم الاجتماع



الواقع له وجود مستقل عنا، ولا يمكن بالتالي أن ينحصر في التمثلات التي نملكها عن ذلك الواقع

مargريت أرشر، وفريدريك مارتينغر، يتبين أن الواقعية النقدية هي أكثر من فلسفة علوم، لأنها تطرح فلسفة للعلوم تتجنب عثرات العلمية، وتسعى بجد نحو مجتمع أكثر عدالة، وأكثر حرية وديمقراطية، مجتمع تكون فيه حرية كل فرد هي حرية الجميع، فالربط بين فلسفة صارمة للعلوم وفلسفة سخية للمجتمعات هو ما يميز الواقعية النقدية عن بقية الحركات الثقافية المعاصرة في العلوم الاجتماعية. ذلك أن الشرط الثنائي - صرامة النصوص والتحليل من جهة، والتزام وجودي وسياسي من جهة أخرى - هو ما يستقطب أنصارا يبحثون عن فلسفة جامعة تنسق بين العقلانية العلمية والحساسية الإنسانية مع إرادة تغيير العالم بإدراج هذه المبادئ ضمن التحليل السوسولوجي.

على مستوى الجدل بين البناء والوكالة (وهي قدرة الفرد على أن يتصرف بشكل مستقل عن البنى الاجتماعية ويتخذ قراراته بإرادته الحرة، بعكس البناء الاجتماعي الذي يقوم على العوامل التي تؤثر في خيارات الفرد وتحدد قراراته كالتطبيق الاجتماعي والديانة ونوع الجنس والعرق والعادات والتقاليد)، وكان قد شغل علم الاجتماع طويلا، تؤكد الواقعية النقدية أسبقية المجتمع تاريخيا على الأفراد والجماعات، بطريقة تقطع مع براديغم إنتاج المجتمع، لتحل محله نموذج "تحويليا" لا يستطيع المدرسون فيه

التي تخضع للملاحظة. فالباحث بلا حظ المجال التجريبي، ولكن مجال الراهن والواقع ليس معلوما لديه بالضرورة، ولا يدخل إلا في باب الملاحظة، أي أن ما يميز أنصار الواقعية النقدية عن أصحاب النظرية الوضعية هو أن أنصار الفريق الثاني يبحثون عن القوانين الكونية التي تفسر الظواهر، بينما يعتقد أتباع الفريق الأول أن كل ملاحظة عرضية للخطأ، بل قد تكون خاطئة، وبالتالي فإن النظريات ليست قارة، بل هي قابلة للتغيير.

في كتاب "الواقعية النقدية - أنطولوجيا جديدة للعلوم الاجتماعية"، وهو تأليف جماعي تحت إشراف

رؤى أخرى، أي أنه يؤمن بوجود رؤى مختلفة لذلك الواقع. ما يعني أن الواقع والمعرفة مختلفان في نظر بهاسكار، الذي يقسم الواقع إلى ثلاثة مستويات: أولها الواقع، ويحوي كل ما هو موجود من أشياء مادية أو اجتماعية لها بنية وخصائص وقدرة فاعلة، ما يعني أنها يمكن أن تؤثر في أشياء أخرى وتنتج تغييرات. وثانيها الراهن، وهو مجال الأحداث، وما يجري عندما تشغل القدرات الفاعلة، ويضم مجال العلاقات بين ما يمكن وما لا يمكن ملاحظته. وثالثها التجريبي، أي الذي يمكن ملاحظته، وهو المجال الذي يحتوي على المعطيات أو الحقائق



لكل جماعة وجهتها (لوحة للفنان معتوق بوراوي)

ال(إبستمولوجيا) التي نملكها عنه متصلتان ببعضهما بعضا اتصالا وثيقا، ولا يمكن الفصل بينهما، لأن المعرفة مرهونة بالظرف الذي تصاغ فيه، ولا يمكن بالتالي أن تكون محايدة، ما يعني ألا وجود لحقيقة واحدة، كونية، بما أن كل واحد يبني واقعه الخاص. ومن ثم، يعتبر الواقعيون أن البنائية نسبية جدا، بينما يرى البنائيون الواقعية مبالغة في حتميتها.

الواقعية النقدية التي اقترحها روي بهاسكار في أواخر السبعينات تنتقد هي أيضا الفلسفة الوضعية، لأن النشاط العلمي في نظرها لا يتمثل في البحث عن قوانين، ولا في العلاقات الإحصائية بين متغيرات، وإنما يشرح الحقائق بين الأحداث ويكتشف في الوقت ذاته الآليات المولدة التي تتسبب فيها. كما تنتقد أيضا ما بعد الحداثة لأن الواقع كما أسلفنا له وجود مستقل عنا، ولا يمكن بالتالي أن ينحصر في التمثلات التي نملكها عن ذلك الواقع.

أبو بكر العيادي  
كاتب تونسي

منذ أربعين سنة على صدور كتاب "نظرية العلم الواقعية" للاميركي روي بهاسكار (1944 - 2014)، ظلت الواقعية النقدية تتخذ شكل مدرسة تتردد أصدائها في أنحاء من العالم، وتحفل مكانة مميزة في العلوم الاجتماعية. ولكنها لا تزال شبه مجهولة في بلد كفرنسا. فما هو الجديد الذي تطرحه هذه النظرية؟

كانت الفلسفة الوضعية، أي تلك التي تعنى بالظواهر والوقائع البعيدة وحدها، هي المرجع في فلسفة العلوم، وكان ثمة اعتقاد بحيد العلم وموضوعيته، ففي ما يتعلق بطبيعة الواقع، يتبنى أنصار هذا التيار موقفا متائبا من الواقع، وهو أن الواقع مستقل عن الفكر وعن الأوصاف التي يوصف بها ذلك الواقع. وكانت هذه النظرية محل انتقاد عدد من المفكرين أمثال النمساوي كارل بوبر، والأميركي توماس سامويل كون، والمجري إيري لكانتوس، ممن بينوا أن المعرفة العلمية تبني اجتماعيا، أي أنها ثمرة مسار اجتماعي، وليست واقعا يمكن ملاحظته بموضوعية؛ وأن البنائية الاجتماعية تؤكد على أن الواقع يبني بطريقة تفاعلية. أما عن الواقع (الأنتولوجيا) والمعرفة